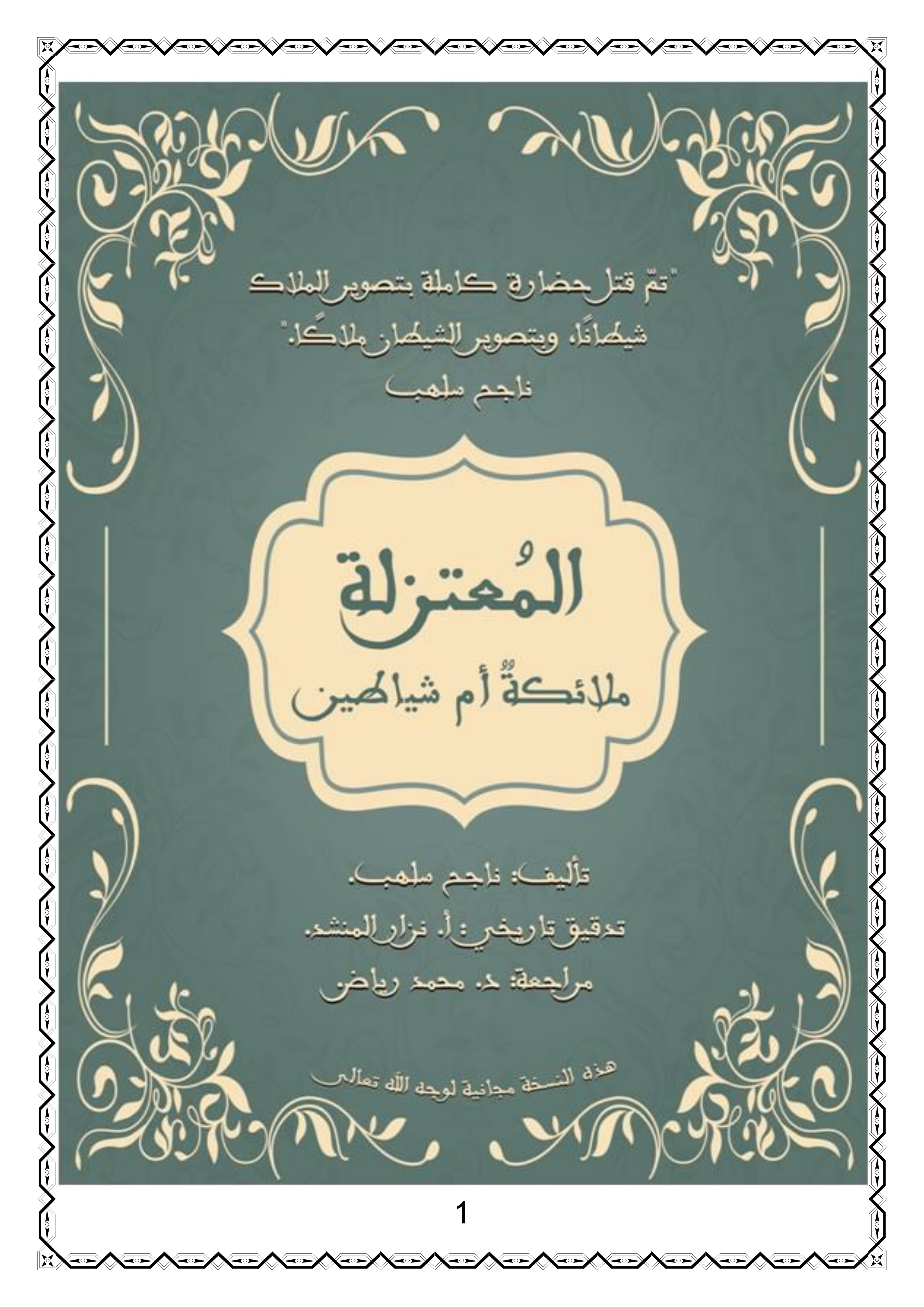

"تمّ قتل حضارة كاملة بتصوير الملاك
شيطانًا، وبتصوير الشيطان ملاكًا."
ناجم سلهب
المُعتزلة
ملائكةٌ أم شياطين
تأليف: ناجم سلهب.
تدقيق تاريخي: أ. نزار المنشد.
مراجعة: د. محمد رياض.
هذه النسخة مجانية لوجه الله تعالى



" تم قتل حضارة كاملة بتصوير الملاك شيطاناً ، وبتصوير الشيطان ملاكاً "

تأليف : ناجح سلهب

تدقيق تاريخي/ أ.نزار المنشد

مراجعة/ د. محمد رياض

مراجعة لغوية/ أ.مجدى أبو سنينة

مقدمة



أصلي وأسلم وأبارك على مَن بُعِث بالحكمة والهدى والرحمة رسولا للعالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتمَ التسليم ، وعلى كلَ من تبعه أو تبع الحق إلى يوم الدين.

للأسف فإنّ المذاهب الدينية السلطوية قد :-

1. أخفت الكثير من الحقائق المتعلقة بالمعتزلة عن الناس
2. بل قد قاموا بتشويه صورتهم أشد تشويه ناهيك عن شيطنتهم

وذلك لأنّ أصول المعتزلة تتضمن :-

1. لزوم الشورى
2. رفض الحكم الاستبدادي
3. رفض كهنوتية الدين

ولذلك قام الخط الوراثي السلطوي المستبد مستعينا بالكهنة بمحاربتهم وتشويهم .

وفي الورقات القليلة التالية سوف أحاول قدر الإمكان إظهار الحقيقة التي تم إخفاؤها واللّه المستعان.

نشوء المعتزلة

المعتزلة هم :ـ

امتداد طبيعي لِمَن أطلق عليهم خصومهم من الجبرية اسم القدرية من أهل الحديث

ومنهم:ـ

- **الإمام قتادة بن دعامة السدوسي**
- **الإمام سعيد بن أبي عروبة**
- **الإمام هشام الدستوائي**
- **ابن أبي ذئب**
- **عبد الوارث**

والعشرات غيرهم ممَّن يقولون بالعدل وينفون الجبر وأنَّ الإنسان مختار فاعل لعمله حقيقة، ومن المعروف عند المتخصصين أنَّ :ـ

" الإمام الحسن البصري " ـ رحمه الله ـ كان قدريًا أيضًا، ومن ثم بدأ تبلور المنهج الفكري عند الإمام " واصل بن عطاء " والإمام " عمرو بن عبيد " ، ومن المعروف أن الإمام واصلاً بن عطاء قد تتلمذ على يد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية والأخير قد تتلمذ على يدي أبيه علي بن أبي طالب – رضوان الله عليه – عن سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

سبب التسمية بالمعتزلة

كان الإمام واصل بن عطاء والإمام عمرو بن عبيد والإمام قتادة بن دعامة وغيرهم من طلبة العلم يدرسون في حلقة الحسن البصري – رحمه الله ـ, كما كان هناك تنافس بين قتادة وعمرو على مَنْ سيكون خليفة للحسن البصري في حلقة العلم.

وحدث أنْ دخل رجل على الحسن البصري, فقال: يا إمام...
لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر, والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة, وهم وعيدية الخوارج, وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر, والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان, بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان, ولا يضر مع الإيمان معصية, كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة, فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا ؟.

فقال الحسن : هو منافق
فقال واصل : فأمّا أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا , ولا كافر مطلقا , بل هو في منزلة بين المنزلتين, لا مؤمن ولا كافر, ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد , يُقرّر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن.

فقال الحسن : " اعتزل عنّا واصل "
وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد , فسمياهما وأصحابهما معتزلة.

وتفصيل ما حدث أن :ـ

جواب الحسن البصري وحكمه على مرتكب الكبيرة بالنفاق لا تقول به أهل السنة الذين يزعمون نسبة الحسن البصري إليهم !,

ناهيك أنّ اسم أهل السنة والجماعة لم يظهر قبل القرن الثالث الهجري حتى.

ثمّ قام عمرو بن عبيد بمناظرة واصل في الحُكم على صاحب الكبيرة, فوجد عمرو أنّ الحق مع واصل فقال قولته المشهورة : " ليس بيني وبين الحق خصومةَ "

وصار عمرو يؤيّد مذهب واصل, واعتزل عمرو مع واصل, وصارا يُدرّسان في ناحية من نواحي المسجد ومعهما جماعة من أصحابهما ,

وكان الإمام قتادة يشير إليهم قائلا : هذه حلقة المعتزلة.

روى عثمان الطويل, قال:-

لقيت قتادة, فقال: ما حبسك عنا؟ لعل هؤلاء المعتزلة حبستك عنا؟ قلت : نعم [1].

وعلينا أن نعرف أن الأئمة الذين يعتبرون من علماء المعتزلة الأوائل كانوا قبل واصل وعمرو وهؤلاء العلماء هم الذين يقولون بالعدل والتوحيد, وكما يقول الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: فالتوحيد أن لا تتوهم الله والعدل أن لا تتهمه.

وهناك قول وجيه آخر في تسمية المعتزلة, وهو عندما بايع الحسن بن علي – رضوان الله عليه – معاوية بن أبي سفيان, فقام نفر من شيعة علي – رضوان الله عليه – باعتزال العامة وانكبوا في البيوت والمساجد على العلم والمعرفة, ومن هؤلاء خرج المعتزلة.

---

[1] انظر وفيات الأعيان ٤/٨٥, والمنية والأمل ص٩.

خلق القرآن مواجهة فكرية

قام **معاوية بن أبي سفيان** بتعيين **سرجون** " Sergius " **بن منصور المسيحي** كاتبًا له وصاحب أمره[٢] .

وبعد أن توفي **معاوية** بقيت **لسرجون** مكانته, فكان **يزيد بن معاوية** يستشيره في الملمّات ويسأله الرأي[٣] , ثم ورث **ابن سرجون** الملقب **بيوحنا الدمشقي**[٤] (**منصور بن سرجون بن منصور التغلبي**) مكانة أبيه وقام بخدمة **الأمويين** فترة ثمّ ترك خدمتهم واعتزل سنة ١١٢ هـ , والتحق بدير قريب من القدس حيث قضى بقية حياته في العبادة والتأليف في علم **اللاهوت**[٥] . ويظهر من كُتب **يوحنا الدمشقي** وكتب تلميذه **ثيودور أبي قرة** (٢١١ هـ) ـ أسقف حرّان ـ أن الحوارات والمناظرات كانت شائعة في تلك الأيام بين **المسيحيين والمسلمين**.

وقام **كبير دير مار سمعان** في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي بترجمة كتاب **الدمشقي** تحت عنوان " **الإيضاح الصريح في المذهب الصحيح**."

إنّ أول من قال بأن **كلام الله غير مخلوق** هو **يوحنا الدمشقي النصراني**.

قال **للمسلمين** في الشام: هل تقولون بأنّ **عيسى** كلمة من ربه أوحاها إلى مريم وروح منه؟.

قال **المسلمون**: نعم.

قال **يوحنا الدمشقي**: **وكلمة الله غير مخلوقة**، إذن **عيسى غير مخلوق**[٦] .

فهو سبب القول بأن **كلام الله غير مخلوق**.

فقد نشرها في الشام بين **المسلمين** ليثبت بها **ألوهية المسيح عيسى بن مريم** عليه السلام وأنه **كلمة** من **الله غير مخلوقة**, فتصدى له **المعتزلة** بالبراهين والحجج على أن **كلام الله مخلوق** دفاعًا عن **الإسلام** من طعون الطاعنين.

يروي **ابن النديم** عن **فثيون النصراني** وكان معاصرا **لابن كلاب** أنه سُئل:ـ

- ما تقول في **المسيح**؟,
- فقال : أقول فيه ما يقول **أهل السنة** في **القرآن** ، يعني أنه **غير مخلوق**[٧].
- ولذلك فلم يكن القول **بخلق القرآن الكريم** ترفا فكريًا , ولا قولا بلا طائل, وإنما كان دفاعًا صريحًا عن الإسلام العظيم.

---

[٢] الطبري, ج٦,ص ١٨٣, وابن الأثير, ج٤, ص٧.
[٣] الطبري, ج٦, ص ١٩٩, وابن الأثير, ج٤, ص ١٧.
[٤] يوحنا الدمشقي هو لقبه الكنسي.
٥ الدير هو دير مار سابا في قرية العبيدية في فلسطين والقريب من القدس الشريف, وقبر يوحنا موجود في هذا الدير.
٦ الهرطقة المائة, يوحنا الدمشقي, بيروت ١٩٩٧, ص ٧١.
[٧] الفهرست, ص ١٨٠.

المعتزلة ووضع علوم اللغة العربية والعلوم التجريبية

من المثير حقا أن نعلم أن :-

المعتزلة هم من وضع وقعد علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والبلاغة.

فسيبويه[٨] صاحب الكتاب منهم والجاحظ منهم وأبو علي الفارسي وابن جني والأخفش وكذلك أبو عثمان المازني واضع علم الصرف منهم والمبرد صاحب الكامل منهم والفراء صاحب معاني القرآن منهم وحتى مؤسس المنهج التجريبي الحديث ابن الهيثم [٩] فهو منهم وأقضى القضاة الماوردي أيضًا منهم, والمؤرخ والجغرافي العظيم رائد نظرية الانحراف الوراثي منهم, والإمام العلامة إبراهيم النظام أحد الآباء التاريخيين والروحيين لميكانيكا الكم منهم[١٠] , والمئات من العلماء الكبار الآخرين منهم.

---

[٨] هناك دراسة شيقة وضعها الدكتور إدريس مقبول تُثبت اعتزالية سيبويه في كتاب سماه " سيوبيه معتزليًا " صدر عن المركز العربي للأبحاث ٢٠١٥.

[٩] Hodgson, Peter Edward (2006), *Theology And Modern Physics*, Burlington, VT: Ashgate Publishing (published 2006-01-15), ISBN 978-0-7546-3622-9

[١٠] يؤكد هذه الحقيقة مؤرخ العلم الدكتور ماكس يامر

Max Jammer, The Philosophy of Quantum Theory (New York: Wiley, 1974).p 259.

المعتزلة والعقل

ذكر أبو الحسن بن فرزويه أنّ قومًا من السمنية أتوا جهم بن صفوان فقالوا له :

- هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة ؟ (معنى قولهم: هل يخرج المعلوم عن الحواس الخمسة ؟).
- فقال: لا.
- قالوا: فحدثنا عن معبودك الذي تعبده, أشيء وجدته في هذه المشاعر. (هل هو شيء من المحسوسات ؟).
- قال: لا.
- قالوا: فإذا كان المعروف لا يخرج عن ذلك, وليس معبودك منها, فقد دخل في المجهول.!
- فسكت جهم.

وقد كتب الجهم بن صفوان – عقب عجزه أمام علماء السمنية – بوقائع هذه المناظرة إلى شيخ المعتزلة " واصل بن عطاء ".

فكتب إليه واصل:

"إنّ المعروف لا يخرج عن المشاعر الخمسة وعن الدليل ، فارجع إليهم الآن, وقل لهم هل تفرقون بين الحي والميت؟ وبين العاقل والمجنون ؟ فإنهم يعترفون بذلك, وأنه يُعرف بالدليل لا بغيره."

وذهب جهم إلى علماء السمنية وقدم إليهم الجواب.

- فقالوا له : ليس هذا من كلامك ! فمن أين لك ؟.!
- قال : كتب إليَّ به رجل من العلماء بالبصرة , يقال له : واصل.
- فخرج السمنية إلى واصل بن عطاء – بالبصرة – " وكلموه , فأجابوه إلى الإسلام""[11].

ولكي نفهم كلام واصل بن عطاء ـ رحمه الله ـ علينا ان نعرف التالي:

- ❖ الدلالة : هي أن تعرف من شيء معلوم شيئا آخر يلزم عنه.

فأنْ تسمع صوت طرقة على الباب فهذه الطرقة دلالة على أن هناك طارقا.

وتجاوز الحس وهو الطرقة إلى وجود الطارق هو الربط العقلي أي دليل العقل.

ولذلك فالدلالة وهي الاقتران العقلي تتجاوز الحسّ المجرّد

ولا يستطيع ان ينكر السمنية دليل العقل هذا.

وهذا الاقتران هو معنى عقلي, وليس هذا الاقتران هو نفس هذا الحس.

---

[11] فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٢٦.

كتب الأخ الدكتور نورالدين السافي:

قيل قديما :

العلم هو : علم السؤال وليس علم الجواب ؛ لأنّ السؤال سبب كل الصعوبات والعوائق.

ولأن جلّ أسئلتنا سيئة الطرح كما يقول المناطقة نـجد أنفسنا تائهين بين إجابات لا تنتهي.

قولنا: هل يخالف الشرع صريح العقل؟.

قول في نظري غير سليم وسؤال غير وجيه.

لأنه لو سألنا أنفسنا ... وما الشرع؟. لقلنا :ـ

إما أن يكون الشرع : ما فهمه العلماء من النص, وفي هذه الحالة نكون أمام إنتاج عقلي يعارض إنتاجا عقليا.

أمَا إذا قلنا: إن الشرع هو النص, يكون الجواب وكيف عرفت معنى النص حتى تقول إنه مخالف لما ذهب إليه الشرع؟.

والخلاصة لا يوجد شرع مخالف للعقل بل إن المسألة لا وجود لها أصلا.

الموجود الوحيد هو فهم مُعيَّن للنص يخالف فهما آخرللنص.

أي إنتاجا للعقل يخالف إنتاجا آخر.

فالمسألة صراع عقول وليس صراع عقل ونص .

العقل هو الفاهم والنص هو المفهوم، و الفاهم فاعل والمفهوم مفعول، ولا يوجد قراءة للنص بدون إطار عقلاني مهما اختلف هذا الإطار, ولذلك فالعقل قبل النقل.

من يعيب العقل ويقول أنه قاصر وفيه ما فيه من مساوئ, فقل له:

❖ وكيف عرفت هذه المساوئ بالنص أم بالعقل؟,

- فإن قال بالنص فقل له أين النص ؟
- وإن قال: بالعقل فقد ردّ على نفسه بنفسه.

❖ قل له: تعيب العقل وتتهمه بالعيوب فهل تعيب الصنعة أم الصانع ؟.

❖ قل له: الحكيم وجه خطابه إلى العقل ومن يخاطب قاصرا لا يفهم بغرض إفهامه فهو أحمق وليس حكيما.

❖ من يريد ابطال العقل بأدلة العقل متسفسط؛ فهو يقول أدلة العقل غير صحيحة وهي تثبت ان العقل قاصر (وهذا تناقض).

علم الكلام

هو العلم الذي يَبحث في **الأدلة والحجج** التي تثبت وجود الله وبعث الأنبياء والرسل وصحة رسالة محمد عليه الصلاة والسلام, وقد نشأ هذا العلم نتيجة **محاورة المسلمين** لبعضهم البعض في مسائل **القدر والعلم الإلهي** ومحاورة **المسلمين لأهل الملل والنِحل** الأخرى **كأهل الكتاب والفلاسفة**.

وينقسم علم الكلام إلى :

- جليل الكلام.
- دقيق الكلام

جليل الكلام : يبحث ما يتعلق بالله جلّ جلاله وأحكام ذاته فهو بحث في **الفلسفة الإلهية**.

أما **دقيق الكلام** : فهو يبحث في **فلسفة الوجود والفلسفة الطبيعية والعلم الطبيعي**.

ولا يُعدَ المعتزلي عالما نحريرا حتى يتقن الخوض في هذين العلمين العظيمين.

شبهات تثار ضد علم الكلام

يقول بعض الناس:

أنّ هذا العلم مُحدث مُبتدَع, ولا يجوز الخوض فيه؛ لأن الصحابة الكرام لم يعرفوه ولم يخوضوا فيه.

الجواب :ـ

قلنا يا سبحان الله, وهل عرف الصحابة علم النحو والصرف والبلاغة وأصول الفِقه ؟!.

فإن حرمتم الخوض في علم الكلام, فحرموا الخوض في النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه وغيرها من العلوم التي لم تعرفها الصحابة.

➢ فإن قالوا:

النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه فقط تقعيد[١٢] للكيفيات والطرق ودلالة التعبيرات التي تعرفها العرب في كلامها.

➢ قلنا:

وعلم الكلام مجرّد تقعيد لكيفيات وطرق الأدلة التي يستخدمها العقلاء والتي استخدمها القرآن في اقامة الحجج والبراهين.

➢ فإن قالوا:

ولكنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل خوضوا في علم الكلام.

➢ قلنا :

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل لا تخوضوا في علم الكلام. ونقلب السؤال عليكم ونقول لكم : هل قال النبي صلى الله عليه وسلم: خوضوا في علم النحو والصرف وأصول الفقه ؟!.

وكل ما تأتون به جوابًا على جواز الخوض في علم النحو والصرف وأصول الفقه, يصحّ أن يكون جوابًا على جواز الخوض في علم الكلام.

---

١٢ تقعيد أي وضع قواعد وقوانين.

أصول المعتزلة

أصول المعتزلة هي : القضايا التي يتفق عليها المعتزلة بشكل عام,
وكل المعتزلة متفقون على أصلين أساسيين وهما :ـ

1. العدل
2. التوحيد.

وهناك ثلاثة أصول أخرى يتفق عليها العديد من المعتزلة, ولكن بعض المعتزلة يخالفون فيها , ولكن المعتزلة أنفسهم لا يستطيعون أن ينكروا أن هناك تيارًا إرجائيا عند بعض المعتزلة.
وهذه الأصول الثلاثة :ـ

1. المنزلة بين المنزلتين , 2. الوعد والوعيد ,
3. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر.

وسوف أشرح بشكل موجز الأصول الخمسة:

❖ العدل : وهذا الأصل المقصود به العدل الإلهي, الذي يقتضي حريّة الإنسان في أفعاله, والإنسان هو المحدِث لهذه الأفعال والمسؤول عنها , ويستحق عليها الثواب والعقاب.

❖ التوحيد : والتوحيد لا يعني فقط أنه لا يوجد إلا إله واحد فقط وإفراده بالأحدية, بل وتنزيه الله عز وجل عن صفات المخلوقات؛ فاللّه ليس كمثله شيء.

❖ الوعد والوعيد : ويعني أن الله وعد أهل الطاعة بالثواب, وتوعّد أهل المعصية بالعقاب. والله لا يجوز عليه أن يُخلِف وعده و وعيده؛ فيكون كاذبًا فيما وعد أو توعد – حاشاه سبحانه وتعالى-.

❖ المنزلة بين المنزلتين : ومعنى هذا الأصل أنّ مرتكب الكبيرة [13] , الذي عدّه أهل الإرجاء من المؤمنين, وعدّه الخوارج من الكفرة, أنه عند المعتزلة لا يستحق وصفه بالمؤمن ولا ذمه بالكافر, وإنما هو لا كافر ولا مؤمن في منزلة بين المنزلتين, وقد أطلق المعتزلة على صاحب المنزلة بين المنزلتين اسم " الفاسق ", وحكم الفاسق أنه لا يمنع عن الزواج والموارثة والدفن في مقابر المسلمين وغير ذلك, ولكنه لا يجوز أن يتولى الخلافة أو الإمامة, وهذا حكمه في الدنيا , أما في الآخرة فإن لم يتب فهو مُستحق لعذاب النار لا محالة.

---

13 الكبيرة هي المعصية العظيمة التي توعّد الله مُرتكبها بالخلود في جهنّم, وعليها دليل من القرآن الكريم.

❖ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**, وهو نصيحة المسلمين بعمل الطاعات والانتهاء عن الكبائر, وبشكل خاص عند المعتزلة أنّ **ولي الأمر** (الحاكم) المصرّ على الكبائر **يجوز الخروج عليه لتغييره بالقوة عند التمكّن** (**والتمكّن شرط ضروري عند المعتزلة**).

ويُطلق على **المعتزلة** اسم **العدلية** لأخذهم بأصل " **العدل** ", ويُسمّون أيضا "**أهل العدل والتوحيد**" لأخذهم بالأصلين.

والأرجح هو تقديم **اسم العدل على التوحيد عند المعتزلة**؛ حيث إنّ المعتزلة تقول بأنّ :-

١. العقل أوّل الأدلة

٢. تقديم العقل على النقل

٣. بحث العقل وعلاقته بالنقل تبحثه المعتزلة تحت أصل " العدل " ولذلك فوجب أن يكون العدل قبل التوحيد.

التحسين والتقبيح العقليان

اعلم أن الدليل هو المرشِد إلى المطلوب, والعقل هو المرشد إلى صحة وجود الله وبعثه الأنبياء ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم, ومن جحد أن يكون العقل دليلا هنا فقد كابر وأنزل نفسه منزل السخافة والسفه.

فعقلاء أهل الأرض يعلمون أنه من جهل المرسِل أو أنكره لا يلزمه النظر في رسالة رسوله.

فلو جاءك أحدهم قائلا: أنا رسول زيد وجئتك برسالة منه, فقلت له: زيدٌ هذا لا أعرفه, أولا أعلمه موجودا, فلا يجب عليه النظر في رسالة الرسول.!

فانظر يرحمك الله الى أي موصل سيوصلنا منكرو دليل العقل.!

ثمّ أخبرونا بأي شيء سوف تحكمون على أنّ النبي هل هو صادق يمكن قبول أخباره أم لا ؟.

إن لم يشهد له دليل العقل على الصدق ؟.

فالحكم العقلي هو : كلّ ما يعرف العقل فيه النسبة إيجابا أو سلبًا

(النسبة هي: إثبات شيء لشيء أو نفي شيء عن شيء).

فالعقل يعلم أنه لا بد للفعل من فاعل, فإن عرف صفات الفعل, وقام لديه القياس على أن السموات والأرض فعل؛ أثبت لها فاعلا صانعا على مقتضى حكم العقل.

ومعرفة أن قتل البريء والسرقة والغش والخداع والغدر وأكل أموال الناس بغير حق قبائح باطلة محظورة يجب تركها تعرفه الملحدة, وتعرفه شعوب أهل الأرض من غير رسول ولا نبي, وهل الناس قبل الرسل كانت عريّة عن إقامة العدل بينها ؟.

وهل لو أتانا النبي بإباحة السرقة والغش والخيانة وباقي القبائح والجرائم كنا سوف نقبل منه ؟!

النبي لا يزيد على أن يؤكد على أن هذه القبائح والجرائم محظورة وجب اجتنابها وهذا هو " الحرام ", أو أن الأفعال الصالحة الحسنة كمساعدة الفقراء والمساكين وصلة الرحم والأمانة وغيرها واجبة يجب العمل بها وهذا هو " الواجب."

إن أهل الأرض جميعا يعلمون أن حفظ النفس وحمايتها من المهالك حسن يميل الطبع إليه, وأن إيراد النفس المهالك قبيح ينفر الطبع عنه, وإنكار هذا مكابرة وجحد للضرورة, والنفس مفطورة بالعلم الضروري على جلب المنافع ودفع المضار.

الحُسْن : هي المنافع والمصالح ما لم تكن على صفة (مَفسَدة) تؤثر في استحقاق فاعلها.
الذم.القبيح : هي المضار حيث كانت على صفة (مَفسَدة) لها تأثير في استحقاق فاعلها الذم ما لم يمنع من ذمّه مانع.

هل الأفعال من جهة تعلق المدح والثواب, أو المؤاخذة والعقاب هل هو لأجل صفة عائدة إلى الفعل أو لأنه مجرّد خطاب الشارع؛ وبذلك فهل يمكن أن نعرف حسن الأفعال أو قبحها بذلك؛ ومن ثمّ نحكم عليها بأحد الأحكام المعروفة كالوجوب والجواز والحظر أو لا يجوز ذلك مطلقا, ويكون الأمر موقوفا على خطاب الشارع فقط ؟.

كما أن هذه المسألة هي أصل في معرفة تعليل أفعال الله بالحكمة والمصلحة والغاية, ومعرفة الأصلح واللطف, وحيث إن النبوات ذاتها فرع من اللطف كان بحث هذه المسألة له عظيم القدر في علم أصول الدين وعلم الكلام.

ومردّ الاعتبارات التي ينبني عليها التحسين والتقبيح هي الأفعال الموافقة للغرض بها (الهدف منها), والملاءمة لطبع صاحبها؛ وذلك لاعتقاده بجرّ المنافع ودفع المضار؛ وأسّ ذلك هو حفظ بقاء الذوات من الهلكة وما فيه صلاح لهذا البقاء. فما ينفع دوام البقاء في الدنيا, أو دوام البقاء في الآخرة بخير ونعمة فهو مصلحة.

وعليه؛وإن كان الطعام كريه الطعم والرائحة ينفر منه الطبع, إلا أنه موافق للغرض (الغاية) التي يرومها صحابها وهي حصول الشفاء به كما هو الحال مع الدواء الكريه, فهو حسن.

(والطبع إمّا ان يكون هو المزاج كالرغبة في اللذيذ والحلو والراحة, أو يكون ميل النفس لجلب المنافع ودفع المضار والتعويل على الأخير في التحسين والتقبيح العقليين)

وليس الخلاف أنّ هناك أفعالا تميل إليها النفوس تستحسنها وأن هناك أفعالا تنفر عنها النفوس تستقبحها, ولكن الخلاف بيننا وبين غيرنا هو استحقاق فاعل الحسن المدح والثواب, واستحقاق فاعل القبيح الذم والعقاب دون أن يتوقف على خطاب الشرع أو دليل السمع.

ونلخص القول أنّ الحُسْن والقبح يطلقان باعتبارات ثلاث:
الاعتبار الأول : أن الحُسْن هو ملاءمة الطبع ، والقبْح هو منافرته كقولنا : إنقاذ الغريق حسن ، واتهام البريء قبيح.
الاعتبار الثاني : أن الحُسْن هو الكمال ، والقبْح هو النقص كقولنا : العلم حسن،والجهل قبيح.
الاعتبار الثالث : أن الحُسْن هو استحقاق المدح والثواب ، والقبْح استحقاق الذم والعقاب.
قال القرافي : (والأولان عقليّان إجماعا) ، وإنما وقع الخلاف في الثالث.

والحسن والقبيح على أنواع ثلاثة:

١. ما يُعرف بضرورة العقل .
٢. ما يُعرف بالتفكير والاستدلال العقلي.
٣. ما يُعرف أصله بالعقل, وتفصيله بالسمع كالعبادات, فالعقل يعرف أن شكر المنعِم واجب وبالسمع نعرف تفاصيل العبادات حيث هي شُكر للمُنعِم وذِكر لما فيه هدى وخير.

والدليل السمعي يأتي مؤكّدًا على النوع الأوّل والثاني, ويأتي كاشفًا للنوع الثالث.

لأي شيء يحصل الحسن والقبح في الأفعال ؟.

يحصل الحسن والقبح في الفعل لأجل صفة زائدة على الفعل لازمة له؛ فتقتضي تلك الصفة حسن الفعل أو قبحه, وهذه الصفة هي وجوه واعتبارات مادية تارة ومعنوية تارة أخرى يكشفها العقل.

مثال فعل الأكل, والأكل للطعام الذي يحوي موادَ مُغذية وهذه المواد تحافظ على بقاء الإنسان وتصلح جسده والأكل شيء والطعام شيء, والصفة الزائدة على فعل الأكل واللازمة له هي " وجود المواد المغذية " التي تقيم حياة الإنسان؛ ولذلك يكون فعل الأكل " واجبًا " لأجلها.

ويجب أن أشير في هذا المقام إلى أنّ العقل ليس موجبًا لهذه الصفة في الطعام, فليس العقل هو الذي أوجد هذه الصفة في الطعام وإنما العقل كشف عن وجودها , ولذلك فليس العقل علة فاعلة في إيجاد هذه الصفة وليس العقل هو الذي أوجب أن تكون هذه المواد المغذية مقيمة لحياة الإنسان ونمو جسمه وصحته, وإنما الله هو الذي خلق هذه القوانين الطبيعية والعقل مجرّد كاشف عنها وموجب للأحكام التكليفية من الوجوب والحظر والإباحة من حيث هو يكشف عنها وليس علة فاعلة في كونها على تلك الصفة؛ فالعقل ليس هو الفاعل لكون الطعام مُغذيًا مقيما لحياة الانسان وانما كاشف عن هذه الصفة, والعقل موجبٌ لكون فعل "الأكل" على هذا الوجه "واجبًا عقليًا."

مثال آخر: أكل طعام يحوي سمًا , والسم مادة تقضي بطبعها (خصائصها الطبيعية) إلى الإضرار بالنفس وهلكتها, فالأكل شيء, ووجود هذه المادة السامة شيء آخر, ومتى علم الآكل اشتمال طعامه على السمّ المهلِك عرف أن حكم أكله هو "الحظر" وهذا الحظر من جهة العقل وهو الحكم العقلي.

ولا يقول المعتزلة أن هذه الوجوه والاعتبارات والصفات التي تتعلق بالأفعال فتجعلها حسنة أو قبيحة هي صفات ذاتية للأفعال, كما يتوهّم خصوم المعتزلة ويوردون ردودا على قول هُم يتوهمونه لا نقول به, فالأكل " فعل " إن تعلق بنافع كالطعام المفيد كان حسنًا , وإن تعلق

الأكل بضار كان قبيحًا. وحتى الطعام نفسه فكما يكشف العقل, فما هو مناسب لزيد ومفيد له قد يكون ضارًا بحق عمرو لأمور تتعلق بجسم عمرو كتسبيب بعض الأطعمة الحساسية له, كما نعرف بالعقل؛ ولذلك قول خصومنا أننا نقول بصفات ذاتية فهذا معناه أنهم يُشنّعون على ما لا يفهمونه وعلى شيء لا نقوله.

ومن تلك القضايا البديهية في العقل العملي مسألة التحسين والتقبيح العقليين الثابتين لجملة من القضايا ، مثل قولنا : « العدل حسن » و « الظلم قبيح » و « جزاء الإحسان بالإحسان حسن وبالإساءة قبيح ». فهذه القضايا قضايا أوليّة في الحكمة العملية مبنيّة على أنّ البقاء والوجود حسن بالضرورة ، والعقل يدركها من ملاحظة طرفي القضية بنفسها ، وفي ضوئها يحكم بما ورد في مجال العقل العملي.

العقل في مقاييس اللغة لابن فارس:

"العين والقاف واللام أصلٌ واحد منقاص مطرد, يدلُ عُظمه على حُبْسة في الشيء أو ما يُقارب الحُبسة. من ذلك العقل, وهو الحابس عن ذميم القول والفعل."

فكما ترى فإن العرب تعرف ان العقل حابس عن ذميم القول والفعل وأنّ من القول والفعل ذميما فتأمل -يرحمك الله.-

تعريف الظلم : أما الظلم فهو ضرر ليس بمستحق, وليس فيه نفع أكبر منه, ولا دفع ضرر أعظم منه, معلوم أو مظنون, ولا يكون مفعولا على جهة الدفع عن النفس.

ومعنى أن لا يكون القبيح قبيحًا إلا من أجل النهي عنه, وأن لا يكون الحسن حسنًا إلا من أجل الأمر به فيعني أنكم تجوزون على الله أن يأمر بالظلم والجهل, والعبث وأن ينهى عن مساعدة الفقراء والمحتاجين والمساكين.

وإن قلتم أنه لا يكون قبيحا ويستحق العقاب بالنهي ولا يكون حسنا ويستحق الثواب إلا بالأمر .

فليس العقاب والثواب حسنًا وقبيحًا إلا بالأمر فعليه أنّ هذا المذهب يُجوِّز أنْ يعاقب اللّه الأنبياء بالخلود في جهنم, ويُجيز أن يثيب اللّه إبليس بالجنة خالدًا فيها أبدًا, إذ ليس هناك مانع في العقل عندكم على ألا يفعله, بل وتقولون أنه لا يستحق العقاب والثواب إلا للأمر به فهذا يلزمكم

أما رد شبهة من يقول: أنّ هذه المسألة على مذهبنا تعني أنّ العقل مُستغنٍ عن النبوات بهذا التقرير كليًا, فقد أبعد النجعة؛ فإنه إنْ علِم أنّ اللّه إذا كلفنا أفعالا وزجرنا عن أمور وذكّرنا بالعِبَر والحكمة, كنّا أقرب إلى فعل الواجبات العقلية وترك القبائح العقلية, وكان في هذه مزيد هداية لنا إلى تلك الأفعال والتروك بالعقول؛ فيظهر أن النبوة مؤكِّدة لما تعرفه العقول وكاشفة عن العبادات المعيّنة على التكليف العقلي, وموضحة ومبينة ومفصلة للثواب والعقاب كانت النبوة حسنة, ونافعة وكان هذا مرشدا إلى تحقيق مصالحهم وتذكيرًا بأحوال المعاد.

ونحن نعرف بالضرورة أنّ الناس إنْ كان لهم قائد صالح يمنعهم عن المحظورات ويحثهم على أداء الواجبات, ويذكّرهم باللّه ويُبشرهم بنعيمه على فعل الصالحات وينذرهم عذابه على فعل الشرور والقبائح فإنّ حالهم يكون أقرب إلى أداء الواجبات وترك القبائح من تركهم هملًا.

ولو قلبنا الشبهة عليكم فحالكم كمَن يقول: أنّ بالعقل وحده نستطيع الوصول إلى جميع نظريات وقوانين علوم الرياضيات؛ وعليه فلا حاجة لنا إلى مُعلّمي الرياضات, فيظهر مدى كون هذه الحجة ضعيفة واهنة.

قال تعالى: " فاعتبروا يا أولي الأبصار " الحشر ٢.

وهذا نص صريح يؤكد على وجوب استعمال القياس العقلي, فليس المقصود مجرد إلقاء البصر, وإنما الاعتبار هو في تحصيل العبرة والدلالة فيما وراء هذا المحسوس فتأمّل- يرحمك اللّه-.

الأدلة النقليّة على التحسين والتقبيح العقليين:

١. قوله تعالى :

> " **وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجدنا عليها آباءنا واللّه أمرنا بها قل إنَّ اللّه لا يأمر بالفحشاء أتقولون على اللّه ما لا تعلمون".**

وجه الاستدلال : أنَّ اللّه أخبر عن نفسه في سياق الإنكار عليهم, أنه لا يأمر بالفحشاء فدلَّ ذلك على أنه مُنزّه عنه, فلو كان جائزا عليه لم يتنزّه عنه, فعلِمَ أنه لا يجوز عليه الأمر بالفحشاء , وذلك لا يكون إلا إذا كان الفعل في نفسه سيئا وقبيحا.

٢. قوله تعالى:

> " **ولا تقربوا الزّنا إنه كان فاحشةً وساءَ سبيلاً** " .

وجه الاستدلال : أن اللّه علل النهي عنه بما اشتمل عليه من أنه فاحشة وأنه ساءَ سبيلاً , فلو كان صار فاحشة وساء سبيلا بالنهي لما صح ذلك ؛ لأنَّ العلة تسبق المعلول لا تتبعه, ولا تأتي بعده .

٣. قوله تعالى :

> " **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**"[١٤] .

وجه الاستدلال : أنَّ اللّه أمر الناس أن يتوبوا ويستغفروا ممّا فعلوه, فلو كان كالمباح المستوى الطرفين والمعفو عنه, وكفعل الصبيان والمجانين لم يأمر بالاستغفار والتوبة فعلم أنه كان من السيئات القبيحة.

٤. أخبر اللّه تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول كقوله لموسى :

> " **اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكّى وأهديك إلى ربِّك فتخشى".**

وقال تعالى :

> " **إنَّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبِّح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين** " .

فهذا خبرٌ عن حاله قبل أن يولد موسى _ عليه السلام _ وحين كان صغيرا قبل أن يأتيه برسالة أنه كان طاغيا مفسدا ،

١٤ الآية ٣ من سورة هود.

وقال تعالى:

" ولقد مننّا عليك مرةً أخرى إذ أوحينا إلى أمِّك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليمِّ فليلقه اليمُّ بالساحل يأخذه عدوٌ لي وعدوٌ له وألقيت عليك محبةً منِّي ولتصنع على عيني " .

والعدو فرعون, فهو إذ ذاك عدوٌ لله ولم يكن جاءته الرسالة بعد. ولا شكَّ أنه كان عدوا لله بفعله لكل تلك المعاصي التي آخذه الله عليها فجعله عدوا له, وهذا لا يستقيم إلا إن كان التقبيح والتحسين والذم والمؤاخذة صحيحا قبل بعثة الرسول.

5. قوله تعالى:

ويحلُ لهم الطيبات ويحرِّم عليهم الخبائِث.

وجه الاستدلال : أنَّ الآية صريحة في أنَّ الحلال كان طيباً قبل حِلّه وأنَّ الخبيث كان خبيثاً قبل تحريمه ، ولم يستفد طيب هذا وخبْث هذا من نفس الحلّ والتحريم ؛ لأنَّ هذا علَم من أعلام نبوته التي احتج الله بها على أهل الكتاب فلو كان الطيب والخبيث إنما استفيد من التحريم والتحليل لم يكن في ذلك دليل ؛ فإنه بمنزلة أن يقال : يحلُ لهم ما يحلُ ويحرِّم عليهم ما يحرِّم وهذا باطل ؛ فإنه لا فائدة فيه.

6. أنَّ الله تبارك وتعالى أنكر على من نسب إلى حكمته التسوية بين المختلفين كالتسوية بين الأبرار والفجّار فقال تعالى :

" أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ "[15] .

وقال تعالى:

" أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ "[16] .

فدلَّ على أنَّ هذا حكمٌ سيءٌ قبيح ينزه الله عنه ، ولم ينكره سبحانه من جهة أنه أخبر بأنه لا يكون وإنما أنكره من جهة قبحه في نفسه وأنه حكمٌ سيءٌ يتعالى ويتنزه عنه لمنافاته لحكمته وغناه وكماله ، ووقوع أفعاله كلّها على السَّداد والصَّواب والحكمة فلا يليق به أن يجعل البرَّ كالفاجر ، ولا المحسن كالمسيء ، ولا المؤمن كالمفسِد في الأرض فدلَّ على أنَّ هذا قبيح في نفسه تعالى الله عن فعله.

---

١٥ الآية ٢٨ من سورة ص.
١٦ الآية ٢١ من سورة الجاثية.

بعض الأدلة العقلية على التحسين والتقبيح العقليين:

١. أن معاني الحسن والقبيح والذم والمدح والثواب والعقاب تعرفها الناس قبل بعثة الرسل, وتجعلها علامات على العدل والإنصاف.

٢. أن معاني الحسن والقبيح والذم والمدح والثواب والعقاب تتصورها الناس في عقولها, ولو كانت هذه المعاني متوقفة على حصول الأمر والنهي وخطاب السمع لم يكن بإمكان الناس أن تتصورها بمجرد الخبر وتحصل لها في عقولها.

٣. أن العالم حادث, ومعنى أنْ لا يكون فيه محاسن ومصالح وقبائح ومفاسِد إلا بالأمر والنهي المتوقف على بعثة الأنبياء؛ يعني أنّ الله أخّر فعل المصالح والمحاسن دهورًا كثيرة؛ وبذلك يكون الله أهمل أناسًا كثرًا بتركهم هملا وحابى أناسًا آخرين باختصاصهم بالمحاسن والمصالح وهذا طعن صريح في عدالة الله تعالى نُلزِم الخصم به.

٤. أنّ من أنكر أن يكون للفعل وجوه وصفات يتعلق بها معنى الحُسْن بكونه واجبا, وأنّ الفعل ليس حسنًا إلا لتعلق الأمر به ، وأنّ الأحكام بمجرد نِسبة الخِطاب إلى الفعل فقط, فقد أنكر ما جاءت به الشرائع من المصالح والمفاسد والمعروف والمنكر ، وما في الشريعة من المناسبات بين الأحكام وعللها ، وأنكر خاصة الفقه في الدين الذي هو معرفة حِكمة الشريعة ومقاصدها ومحاسنها.

٥. إنّ الحُسْن والقبْح يستوي في معرفتهما الملحد والموحّد ؛ فالملحدة يعرفون قبْح الظلم ولا مستند لهم إلا محض العقل فالملحدة لا يعرفون النّهي والنّاهي.

٦. لو لم يكن الحكم بالحُسْن والقبْح إلا بالشرع, لحَسُن من الله كلُّ شيء, فحسُن منه إظهار الآيات العجيبات على يد الكذّاب ، ولو حسن منه ذلك لما أمكننا التمييز بين النبي الحق والدجال ، وذلك يؤدي إلى بطلان الشرائع.

٧. من يقول أن الحسن والقبيح لا يترتب عليهما ثواب ولا عقاب نقول له التالي:

❖ يسأل قوم النبي رسولهم : هل سوف نثاب إن نظرنا وفحصنا في رسالتك وآياتك ؟. وهل سوف نعاقب إن لم نتفحّص وننظر في رسالتك وآياتك ؟.

فإن قال لهم النبي : لا ثواب ولا عقاب إلا بعد الإيمان بما جئت به.

قال له قومه : فعلام نجهد أنفسنا فيما لا ثواب عليه, وتركه أسلم لنا فلا عقاب علينا؟

(وبذلك يكونون أفحموا نبيّهم أيّما إفحام).

فإن قال لهم النبي : نعم هناك ثواب وعقاب. من جهة هذا الشرع.

قال له قومه: هذا لا يكون صحيحا إلا إنْ قام الدليل بالعقل على صِحّة هذا الشرع, فنحن لا نسلّم لك بغير فحص ونظر, وعليه أيضًا فلماذا نجهد أنفسنا وننظر ونفحص بلا طائل والسلامة في ترك النظر في رسالتك ؟.

فإن قال لهم النبي: نعم هناك ثواب وعقاب من جهة العقل (كان هو القول الذي تقول به المعتزلة).

استقلال التكليف العقلي

أعلم علمك اللّه الخير أن المعتزلة تقول باستقلال التكليف العقلي, وهذا يعني أن كلَ عقلاء البشر مكلفون بالتحسين والتقبيح العقليين سواء جاءهم رسول أم لم يأتهم رسول.

فلا عذر لعاقل فيما عرَف بالضرورة العقلية, أو حصل عنده الدليل والبرهان بالاستدلال والنظر والتفكير, فالضرورة قائمة على قبح قتل الأبرياء وقبح الغش والسرقة والغدر وغيرها من الجرائم الطبيعية, وفي حسن رد الأمانات ومساعدة الفقراء والمحتاجين وغيرها من الأعمال الإنسانية الصالحة, فلا عذر لعاقل في الظلم والطغيان لأنه بالضرورة يعرف جميع الشعوب قبحها.

أمَا بالنسبة لمسائل الإلهيات كوجود الصانع وصفاته فالمعتزلة على أنّ هذه المسائل تحصل بالاستدلال والتفكير ولا تحصل ضرورة فإن استدّ على الناظر مِمّن لم يأته نبي أو رسول في الإلهيات بسبب الشبه والغفلة من غير عمد فهو معذور بإذن اللّه.

وعليه فكل من يأتي المحاسِن العقلية ويجتنب القبائح العقلية مستحق للثواب الأخروي, وكل مَن يأتي القبائح والجرائم المعروفة بالعقل ويترك المقدور من الأعمال الصالحة فهو مستحق للعقاب الأخروي.

اعلم أنَ الأشياء المعلومة **بالدليل** إمّا أنْ :-

1. يصح أن تعلَم بالعقل فقط
2. وإمّا بالشرع فقط
3. وإمّا بالشرع والعقل.

وأمّا المعلومة بالعقل فقط : فكل ما كان في العقل دليلٌ عليه, وكان العلم بصحة الشرع موقوفا على العلم به, كالمعرفة بالله وبصفاته, وأنه حكيم, لا يفعل القبيح.

وعليه فكل ما يتعلق بوجود الله وصفات الله مُتوقف على **دليل العقل وحده**؛ لأنَ صحة الشرع متوقفة على صِحّة هذه الأحكام ؛ والنص مجرّد مؤكّد لدليل العقل ولا يكون مؤسّسا لهذا بحال.

وهل أقبل خطابًا لرسول وأنا أنكر أصل المرسِل وأحكامه وحقه ؟!. هذا تهافت لا يقبله من له مسكة من عقل.

فإذا أخبر الرسول أن الله واحد أحد حكيم هو الأول ما سبقه شيء, **علمنا أن هذا تأكيد** لما عرفناه بالعقل وليس تأسيسا؛ لأنَ صحة الشرع مُتوقفة على صدق هذا وقبوله.

وما مثل من يتلمّس أحكام المرسِل إن صرف النظر عمّا يقتضيه دليل العقل وحكمه, إلا كرجل أتاه خطاب ملك واسع الثراء فيه : **"من الملك الفقير إلي ربه إلى فلان"**, فوقع في نفس الرجل أن الملك في حال من ضيق ذات اليد وشدة الحال وقلة الرزق, وغفل أن هذه العبارة يُراد بها بيان تواضع الملك.!

ولن يختلف حاله في البلادة عن حال ذلك الرجل الذي بعثت إليه زوجته رسالة كتبت له فيها : **"وردتك تنتظرك على الجمر"**. فجعل يفكر ساعة في ذلك النبات المعروف الذي ينتظره في البيت على الفحم المشتعِل.

ومن بلغ هذا المبلغ فلعمري بأي عقل ينتفع وبأي علم يرتفع.

واعلم يا رعاك الله أنّ النص تدوين عن العقل وليس العقل تدوين عن النص, كما واعلم أن الدلالات العقلية تضمر في النص, كما يتم تخصيص النص وتقييده بأدلة العقل, ألا ترى صبيا يقول في قدوم الضيفين على وليمة :" أبتاه قد حضر الناس كلهم". وهو لا يريد جميع أهل الأرض ممَن يصح لفظ الناس لهم وإنما أضيافه المعلومون.

كما عرفنا فالقضية هي إثبات شيء لشي أو نفي شيء عن شيء,فلو قلنا:

علي شاعر أو علي ليس بشاعر.

فهنا قضية إثبات وقضية نفي, ولست تستطيع أن تقول بصحة إحدى القضيّتين بغير دليل يؤكّد إحداها , وحتى يتحصّل لدينا الدليل على صدق إحدى القضيتين فإننا نكون في حال من التوقف أي لا نرجّح ولا نحكم بصحة إحداهما على الأخرى

وهذا الموقف هو الموقف الشكّي المنهجي الذي ينتظر الدليل.

١. ولذلك عندما لا تتوفر لدينا الأدلة فالشكّ هو الخيار المنطقي السليم, ونطلق على هذا الحال "التوقف" أيضًا.
٢. وعندما تتوفر لدينا أدلة تؤيّد الاثبات وأدلة تؤيّد النفي ولا نستطيع أن نُرجّح بعضها على بعض فالشكّ هو الخيار المنطقي السليم.
٣. وعندما تتحصّل لدينا أدلة, ولكننا نشك أيضا في قوة وصحة هذه الأدلة فالشكّ هو الخيار المنطقي السليم.

وقد زعم قوم أنّ ديكارت هو مؤسّس الشك المنهجي, وزعم قوم أنّ أبا حامد الغزالي قد سبقه إلى هذا القول, ولكن الأدلة التاريخية تثبت لدينا أنّ المعتزلة هم مَن أسّس الشك المنهجي التجريبي في الحضارة العربية والإسلامية بلا منازع.!

الشك المنهجي عند المعتزلة [17]

في نظرية المعرفة، هناك مراتب للاعتقاد:

1. الشك وهو تساوي الطرفين بين إثبات المعلوم ونفيه ..حين لا يكون هناك أدلة، أو يكون هناك أدلة ولكنها أدلة متكافئة في إثبات الشيء وضده...
2. الظن الراجح وهو رجحان إثبات المعلوم مع احتمال وجود مناقض له، بحيث تكون الأدلة موثوقة في أصلها ولكنها لا تكفي لإثبات الشيء...
3. اليقين وهو قيام الأدلة القطعية على إثبات المعلوم بلا احتمال أيٍ نقيض له...

ووفقا لمنظومتي العقدية (الاعتزال) فإن السادة المعتزلة يقولون:

إن العلم هو اعتقاد يطابق المعلوم مع سكون النفس..

فإن لم يطابق المعلوم ويرافقه مع هذا سكون النفس فهو جهل مركب...

وإن لم يطابق المعلوم ولا يرافقه سكون نفس فهو جهل بسيط..

أما إن لم يطابق هذا الاعتقاد المعلوم ولا يخالفه فهو مجرد اعتقاد ولا يسمى علما ولا جهلا...

ولهذا فحين يأتي فلان من الناس بأدلة لا علاقة لها بالمدلول، ثم يؤكد كلامه ويجزم ويقطع فهو جاهل جهلا مركبا...

لأنه حين لا تقوم هناك أدلة على المدلول أو حين تقوم أدلة لها أدلة مناقضة تساويها في القوة، فإن الموقف السليم والسديد والعلمي هو (الشك) حتى يتبين الأمر بأدلة موثوقة..

وإذ قد ذكرنا الشك، فإنه يطيب لي أن أقول:

إن الشك قسمان:

1. الشك المنهجي: الغرض منه التوصل إلى الحقائق، ومن يأخذ بهذا الشك فهو أقرب إلى الموضوعية من الجامد أو الجاحد..
2. الشك المذهبي: وهذا شك لا غرض منه سوى العبثية، لأنه هو في نفسه مذهب فلا ثوابت له، فهو يشك ويشك في أنه يشك، وحين يكون هذا الشك المذهبي سيد الموقف فسنشك في كل شيء، سنشك في الفساد الذي تعانيه الأمة، سنشك في هزيمتها، سنشك في حاجتها إلى الإصلاح، وهكذا فلن يكون هناك عمل ولن يكون هناك نهوض.!

من الشائع أن مؤسس الشك المنهجي هو الفيلسوف الفرنسي ديكارت!

غير أن أبا حامد الغزالي قد سبق ديكارت بقرون!

وحين نريد أن نكون أشد إنصافا؛ فإن مؤسس الشك المنهجي التجريبي في الحضارة العربية والإسلامية هم المعتزلة بلا منازع..!

☐

---

[17] مقالة لمعتزلي معاصر تحت اسم عبد الجبار.

وها هو ذا الجاحظ يقول:

" فاعرف مواضع الشك، وحالاتها الموجبة له، لتعرف بها مواضع اليقين، والحالات الموجبة له، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلماً، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف ثم التثبت، لقد كان ذلك مما يحتاج إليه.
ثم اعلم أن الشك في طبقات عند جميعهم، ولم يجمعوا على أن اليقين طبقات في القوة والضعف" ا.هـ

من كتاب الحيوان، الجزء السادس، ص ٣٥.

لكننا مع الأسف نجد أصنافا من الناس لا يعرفون مواضع الشك ولا مواضع اليقين، فما إن يقول فلان من الناس كلمة توافق أهواءهم حتى يسارعوا إليها، فينقلوها كما هي! دون تثبت ولا تبين، ودون مراجعة ولا تحفظ! بغض النظر عن الأدلة التي فيها أمقبولة هي أم مرفوضة؟!

إنها طريقة في التفكير يتبعها المؤمن أو الملحد! وهي طريقة لا داعي لأن نقول: إنها أدل على الجهل منها على العلم والتبين والمعرفة واتباع الحق.!

وينقل الجاحظ في الجزء نفسه من الكتاب نفسه أقوالا لبعض المتكلمين في الشك، فيقول:

" ولما قال ابن الجهم للمكي: أنا لا أكاد أشك،

قال المكي: أنا لا أكاد أوقن!"..

ثم نقل عن أبي إسحاق النظام أحد كبار أئمة المعتزلة وعبقرييهم قوله:

" نازعت من الملحدين الشاك والجاحد، فوجدت الشكاك أبصر بجوهر الكلام من أصحاب الجحود!"

للّه أنت يا أبا إسحاق! إن كلامك نتاج معرفة وخبرة! فإن غير قليل من الجامدين أو الجاحدين لا يملكون أبسط قواعد المعرفة!، فهم أشبه بالببغاوات ينقلون كيفما اتفق ويحرجون أنفسهم، ويعرضون عقولهم على الناس!، ويعتمدون على الخرافات لبيان الحقائق، وينتقون شيئا ويعرضون عن أشياء وكلها في ميزان العقل سواء! وربما تركوا ما هو أولى بالأخذ لقلة الشبهات الدائرة حوله.

ثم ينقل الجاحظ عن أبي إسحاق النظام قوله:

" الشاك أقرب إليك من الجاحد، ولم يكن يقين قط حتى كان قبله شك، ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك.."

وقال عمرو بن عبيد المعتزلي أيضا:

" تقرير لسان الجاحد أشد من تعريف قلب الجاهل!"

وصدق..

صدق هذا الإمام المعتزلي؛ فإن الجاحد حين تقرره بأدلته يفزع إما إلى التكرار وإما إلى التجاهل وإما إلى قلب المسألة رأسا على عقب لجهله بطرق الاستدلال وإقامة الدلالة، أو لهوى في نفسه...

إن الذي يقبل ما يقرأه سريعا ويعرضه سريعا، دون تثبت ولا تبين ولا تمهل إنما هو من العوام لا من الخواص، فإن العوام هم أسرع شيء إلى التصديق! فلا يتوقفون ولا يتثبتون، ويقبلون كل ما قرأوه أو سمعوه عفو الخاطر! وهذا هو ما يسمى (التقليد)، ويحذر منه الجاحظ أشد التحذير فيصفه بأنه

" داء لا يحسن علاجه جالينوس ولا غيره من الأطباء"

ويدعو إلى اتهام شيئين:

" الإلف، والسابق إلى القلب"، أما الإلف هو ما اعتاد الناس عليه، والسابق إلى القلب هو أول ما يرد القلب من الظنون دون تثبت ولا تبين.!

ويقول أبو إسحاق النظام أيضا:

" إذا أردت أن تعرف مقدار الرجل العالم، وفي أيّ طبقة هو، وأردت أن تدخله الكور (أي الموقد الذي يستعمله الحدادون) وتنفخ عليه؛ ليظهر لك فيه الصحة من الفساد، أو مقداره هو من الصحة والفساد، فكن عالماً في صورة متعلم، ثم اسأله سؤال من يطمع في بلوغ حاجته منه! "

نقل الجاحظ عن أبي الهذيل أنه قيل له:

" إنك إذا راوغت واعتللت وأنت تكلم النظّام وقمت؛ فأحسن حالاتك أن يشك الناس فيك وفيه! فقال أبو الهذيل:" خمسون شكاً خير من يقين واحد.! "

فهذه كلمات السادة المعتزلة المؤسسين الحقيقيين لمنهج الشك المنهجي في الحضارة العربية والإسلامية.

بعضا من عبقرية الإمام النظام المعتزلي.

هو إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظام البصري (١٦٠هـ- ٢٢٩ هـ)

وُلد في البصرة، وتتلمذ في الاعتزال على يد أبي الهذيل العلاف، وكان أستاذ الجاحظ .

قال الجاحظ في الجزء الرابع من كتاب (الحيوان):

«إنهُ لولا مكانَ المتكلمين لَهلكت العوامّ من جميع الأمم، ولولا مكانُ المعتزلة لهلكت العَوَامّ من جميع النِحل، فإن لم أقل، ولولا أصحابُ إبراهيمَ (النظّام) وإبراهيم (النظّام) لهلكت العوامّ من المعتزلة»

ويقول أيضـاً:

«الأوائل يقولون : إنه يكون في كل ألف سنةٍ رجلٌ لا نظير له، فإن كان ذلك صحيحاً ، فهو أبو إسحاق النظّام.»

(فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٦٥).

ظهرت عبقريته منذ نعومة أظفاره ومن ذلك ما رواه ابن نباتة في سرح العيون والجاحظ في الحيوان: أنه دخل وهو صغير على الخليل بن أحمد، وفي يد الخليل قدح زجاج،

- ❖ فقال له الخليل: صف هذه الزجاجة،
- ➢ قال: أبمدح أم بذم؟
- ❖ قال:بمدح،
- ➢ قال: تريك القذى، ولا تقبل الأذى، ولا تستر ما وراءها،
- ❖ قال: فذمّها،
- ➢ قال: يسرع إليها الكسر ولا تقبل الجبر،
- ❖ قال فصف إليّ هذه النخلة- وأومأ إلى نخلة في داره –
- ➢ قال: بمدح أم بذم؟
- ❖ قال: بمدح،
- ➢ قال: حلوٌ جناها، باسق منتهاها، ناضر أعلاها،
- ❖ قال: فذمّها،
- ➢ قال: صعبة المرتقى، بعيدة المجتنى، محفوفة بالأذى،
- ❖ فقال الخليل: يا بُني، نحن إلى التعلم منك أحوج.

من أفكاره العلمية:

- سبق لافوازييه بالقول بحفظ المادة بقرون.

"كان النظام يزعم: أن نار المصباح لم تأكل شيئاً من الدهن ولم تشربه، وأن النار لا تأكل ولا تشرب ولكن الدهنَ ينقصُ على قدر ما يخرج منه من الدخان والنار الكامنين، اللذين كانا فيه. وإذا خرج كل شيء فهو بطلانه"

الحيوان للجاحظ ـ ج٥ ـ ص ٢٣.

- وأن الطعوم والروائح هي أجسام مادية أي جزيئات كما نعرف اليوم.

"أما الطعوم والروائح وما إليها فهي أجسام لطيفة أيضاً "

الملل والنحل ـ الشهرستاني ـ ج١ ـ ص ٦١.

- وانظر الى التفسير العلمي لدورة الماء.

"ثم تعود تلك الأمواهُ سيولاً تطلب الحدور (الحدور كرسول: مكان ينحدر فيه) ، وتطلب القرار، وتجري في أعماق الأرض، حتى تصير إلى ذلك الهواء، فليس يضيع من الماء شيء، ولا يبطل منه شيء. والأعيان قائمة، وكأنه منجنون (الدولاب يسقى عليها) غرف من بحر وصبٌ في جدول يفيض إلى ذلك النهر "

-الحيوان للجاحظ ـ ج٥ ـ ص ٣٩.

- وسبق بقرون بمعرفة الغلاف الغازي ومعرفة الضغط الجوي

"لأمر ما حصر الهواءُ في جوفِ هذا الفلك. ولابد لكل محصورٍ من أن يكون تقلبه وضغطه على قدر الحصار، وكذلك الماء إذا اختنق".

الحيوان للجاحظ ـ ج٥ ـ ص ٤٢.

- كما أنّ قول الإمام النظام بالطفرة فيعدّ بذلك أول من قال بالحركة الكوانتية كما أشرنا سابقا.

خفوت المعتزلة وانحسارهم

قام بعض الكتاب بوضع فرضيات لا تقوم على رِجلين لشرح سبب اختفاء المعتزلة, منها أن الفكر المعتزلي فكر نخبوي عقلاني صعب على الناس ولذلك اندثر, والحق أن هناك مذاهب فلسفية كالمشائية وغيرها تتشارك النخبوية والصعوبة أحيانا كثيرة ولكنها استمرت, كما أن هناك قرى ومدنا كان معظم أهلها من المعتزلة في زمن من الأزمنة كخوارزم وعسكر مكرم وجرجان والبصرة و تدمر وجردابة في وادي مزاب وغيرها الكثير, وهنا أنقل بعض الحوادث التاريخية التي تؤكد أن السبب الحقيقي لانحسار المعتزلة هو مطاردتهم وعقد محاكم التفتيش لهم:

استتاب الخليفة القادر في سنة ٤٠٨ هـ فقهاء المعتزلة ونهاهم عن الكلام والمناظرة في الاعتزال وأخذ خطوطهم بذلك وأنهم متى خالفوه حلّ بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم, وامتثل محمود بن سبكتكين الغزنوي أمر الخليفة واستنّ بسنته في أعماله من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة وصار ذلك سنة في الإسلام

(المنتظم لابن الجوزي ٧ : ٢٨٧)

ولمّا أخذ محمود بن سبكتكين الريّ في سنة ٤٢٠ هـ نفى من كان بها من المعتزلة وأحرق كتبهم

(الكامل لابن الأثير ٧:٣٣٥)

وفي سنة ٤٥٦ هـ لُعِنَت المعتزلة في جامع المنصور ببغداد, وجلس بعض العلماء لسبّ المعتزلة, وهجم قوم من الأشاعرة على أبي عليّ بن الوليد شيخ المعتزلة فسبّوه وشتموه وأهانوه وجرّوه

(البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٩١),

وألزموه بيته مدّة خمسين سنة إلى أن توفّي (واضطّروا أبا الوفاء بن عقيل الفقيه في سنة ٤٦٥ إلى أن يحضر في الديوان ويكتب على نفسه كتابًا يتضمّن توبته من الاعتزال, لما قيل مِن أنه كان يتردّد على هذا الشيخ أبي عليّ بن الوليد

(البداية والنهاية ١٢ /٩٨ و ١٠٥).

و القصة التالي تظهر أن الاعتزال كان فاشيا بين الكثير من الناس ولم يكن مذهبا نخبويا:
وفي الحكاية أن قاضيا من القضاة استدل بقوله عز وجل: {فمن كان يرجو لقاء ربه} [الكهف: ١١٠] على أنه تعالى مرئي، فاعترض عليه ملاح فقال: إنه ليس اللقاء بمعنى الرؤية، لأن أحدهما يستعمل حيث لا يستعمل الآخر، بل يثبت أحدهما وينفي الآخر، ولا يتناقض الكلام، وقال: فلو كان اللقاء بمعنى الرؤية، لم يختلف الحال فيه بالمؤمنين والمنافقين، وقد قال اللّه عز وجل: {فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه} [التوبة: ٧٧]، فيجب أن يدل على أن المنافقين يرونه.

فقال له القاضي: **من أين لك هذا؟**

فقال: **من رجل بالبصرة يقال له أبو علي بن عبد الوهاب الجبائي.**

فقال: **لعن اللّه ذلك الرجل، فقد بث الاعتزال في الدنيا، حتى سلط الملاحين على القضاة**[١٨] .

---

١٨ العواصم والقواصم لابن الوزير ج٥,ص٢٣٢. والملاح هو الذي يشتغل في الملح وليس الذي يعمل في البحر.

(أبو الهذيل العلّاف)

-كان **أبو الهذيل العلاف** كبير المعتزلة في زمانه، وله شهرته وتمكّنه في المناظرات والجدل وقطع[١٩] المخالف بأقلّ الألفاظ ، والتآليف التي زادت عن الستين كتابا في دقيق الكلام، وهو أحد الأعلام الأفذاذ وبحور العلم، أسلم على يده الآلاف كما يقال, عاش ما يقارب مائة عام، وفيه يقول الخليفة المأمون:

أظلّ أبو الهذيل على الكلامِ ... كإظلال السحاب على الأنامِ ..

وهذه بعض أخباره:

١. جاء رجل إلي أبي الهذيل العلاف....

- فقال له: أشكل عليّ أشياءُ من القرآن فقصدت هذا البلد، فلم أجد عند أحدٍ ممّن سألته شفاءً لما أردته، فلما خرجت في هذا الوقت قال لي قائل: إنّ بُغيتك عند هذا الرجل، فاتق اللّه وأخبرني،
- ❖ فقال أبو الهذيل: فماذا أشكل عليك ؟؟
- قال: آيات من القرآن توهمني أنها متناقضة، أو آيات توهمني أنها ملحونة،
- ❖ قال: فماذا أحبّ إليك، أجيبك بالجملة أو تسألني عن آية آية ؟؟
- قال: بل تجيبني بالجملة،
- ❖ فقال أبو الهذيل: هل تعلمُ أن محمدا كان من أوسط العرب وغير مطعون عليه في لغته، وأنه كان عند قومه من أعقل العرب فلم يكن مطعونا عليه ؟؟
- فقال: اللهم نعم،
- ❖ فقال أبو الهذيل: فهل تعلم أن العرب كانوا أهل جدل ؟؟
- قال: اللهم نعم،
- ❖ قال أبو الهذيل: فهل اجتهدوا في تكذيبه ؟؟
- قال: اللهم نعم،
- ❖ قال: فهل تعلم أنهم عابوا عليه بالمناقضة أو باللحن ؟؟
- قال: اللهم لا،
- ❖ قال أبو الهذيل: فتدع قولهم مع علمهم باللغة، وتأخذ بقول رجلٍ من الأوساط ؟؟!
- قال: فأشهد ألا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه ..
- ❖ قال أبو الهذيل: كفاني هذا، انصرف وتفقه في الدين

---

١٩ قطع المخالف أي قدّم دليلًا للمخالف بحيث إنّ المخالف لم يستطع الرد لقوة حجّة الخصم.

٢. ناظر أبو الهذيل بعض الحنابلة في مسألة قدم القرآن

❖ وأخذ الحنبليّ لوحا وكتب عليه "الله "وقال: أفتنكر أن يكون هذا هو الله وتدفع المحسوس ؟؟

➢ فأخذ أبو الهذيل اللوح من يده، وكتب بجانبه " الله " كتابة أخرى،
وقال للحنبلي: أيّهما الله إذن ؟؟ فانقطع الحنبلي.

٣. وحضر أبو الهذيل مشهد دفن

وعندما وُسِّد الميت في القبر

❖ قال له أحد أصحابه: الإيمان ببعث هذا صعب،

➢ فأجاب أبو الهذيل: والإيمان بإهماله أصعب.!

٤. مات ابْن لصالح بْن عَبْدِ القدوس

فمضى إليه أبُو الهذيل ومعه النظام وَهُوَ غلام حدث كالمتوجع لهُ فرآه منحرفا ،

➢ فقالَ له أبُو الهذيل: لا أعرف لجزعك وجها إذا كان الناس عندك كالزرع ،

❖ فقالَ لهُ صالح : يا أبا الهذيل إنما أجزع عليْهِ ، لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ،

➢ فقالَ لهُ أبُو الهذيل : وما كتاب الشكوك ؟

❖ قالَ : هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان ،

➢ فقالَ لهُ : النظام فشك أنت فِي موت ابنك ، واعمل علَى أنه لم يمت ، وإن كان قد مات فشك أيضا فِي أنه قد قرأ الكِتاب ، وإن كان لم يقرأه"

٥. وحكى أبُو القاسم البلخي المعتزلي

أن رجلا من السفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين من المعتزلة، فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته ، فلما خرج لم يرها فرجع ،

❖ فقالَ : سرقت دابتي ،

➢ فقالَ : ويحك لعلك لم تأتِ راكبا ،

❖ قالَ : بلى ،

➢ قالَ : فكر ،

❖ قالَ : هذا أمر أتيقنه

➢ فجعل يَقول لهُ : تذكر ،

❖ فقالَ : ويحك ويحك مَا هذا موضع تذكر, أنا لا أشك أنني جئت راكبا ،

➢ قالَ : فكيف تدعي أنه لا حقيقة لشيء ، وإن حال اليقظان كحال النائم فوجم السفسطائي ورجع عنْ مذهبه.

٦. قال أبو الهذيل للبطيخي

- وقال أبو الهذيل للبطيخي المجبّر غلام جهم: أتزعم أن الله تعالى يعذب عباده على ما خلقه فيهم ؟؟
- ❖ قال: لا، ولكن أقول إنهم في النار يتنعّمون كدود الخلّ في الخلّ .
- ❖ ثم قال: كيف تجيب يا أبا الهذيل ؟؟
- قال: نعم ، ولكن قال تعالى " إنك من تدخل النار فقد أخزيته."

٧. ومرّ أبو الهذيل

ومرّ أبو الهذيل راكبا دابة من أمام الحسين النجار وهو قاعد على باب دار المهالبة ،

- ❖ فقال النجار : انزل حتى أسألك .
- قال : أتقدر أن تسألني ؟
- ❖ قال: لا .
- قال : أفأقدر أن أجيبك ؟
- ❖ قال: لا .
- قال : فبم أعنّي نفسي .؟

(الحسين النجار جبري يرى أن الإنسان لا يقدر على شيء من الأفعال وإنما القدرة لله عز وجل فقط).

٨. وقال أبو الهذيل للنجار

- وقال أبو الهذيل للنجّار: أخبرني عن رجل في الشمس أمره الله تعالى أن ينتقل إلى الظل ، متى تحصل له استطاعة الانتقال ؟
- ❖ قال: مع النقلة .
- قال : فأعطي استطاعة النقلة وهو في الشمس أو أعطي وهو في الظل ؟
- فإن قلت بالأول تركت مذهبك، وإن قلت بالثاني فقد انتقل بغير استطاعة فانقطع .

(ومذهب المعتزلة أن الاستطاعة قبل الفعل).

٩. وسأل مجبرٌ أبا الهذيل

- ❖ وسأل مجبرٌ أبا الهذيل: هل تقدر أن تفعلَ شيئا ؟؟.
- قال: نعم أقدر على أشياء أقدرني الله عليها باستطاعة ركّبها فيّ .
- ❖ قال: خذ تلك الصعوة من رأس ذلك الحائط (أي العصفور من رأس الحائط) .
- قال: ذلك من استطاعة الباشق (أي الصقر!) .

أي أن المخلوقات لها استطاعات مختلفة.

١٠. بلغ أبا الهذيل في حداثة سنه أنّ رجلاً يهوديّا

بلغ أبا الهذيل في حداثة سنه أنّ رجلا يهوديّا قدم البصرة و قطع جماعة من متكلميها،

- فقال لعمّه: «يا عمّ امض بي إلى هذا اليهودي حتى اكلمه

❖ . فقال له عمه: يا بنيّ كيف تكلمه وقد عرفت خبره، وأنه قطع مشايخ المتكلمين!

➢ فقال: لا بدّ من أن تمضي بي إليه. فمضى به.

➢ قال: فوجدته يقرّر الناس على نبوة موسى ـ عليه السلام ـ، فإذا اعترفوا له بها قال: نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجمع على ما تدّعونه، فتقدّمت إليه، فقلت: أسألك أم تسألني؟

❖ فقال: بل أسألك،

➢ فقلت: ذاك إليك،

❖ فقال لي: أتعترف بأنّ موسى نبيّ صادق أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك؟

➢ فقلت له: إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشّر بنبيّي ـ عليه السلام ـ وشهد بنبوّته وصدّقه فهو نبيّ صادق، وإن كان غير من وصفت، فذلك شيطان لا أعترف بنبوّته؛ فورد عليه ما لم يكن في حسابه،

❖ ثمّ قال لي: أتقول إنّ التوراة حقّ؟

➢ فقلت: هذه المسألة تجري مجرى الاولى، إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمّن البشارة بنبيّي ـ عليه السلام ـ فتلك حقّ، وإن لم تكن كذلك فليست بحقّ، ولا أقرّ بها. فبهت و افحم ولم يدر ما يقول.

❖ ثمّ قال لي: أحتاج أن أقول لك شيئا بيني و بينك، فظننت أنه يقول شيئا من الخير، فتقدّمت إليه فسارّني

➢ فقال لي: امك كذا وكذا وام من علمك، لا يكنّي، وقدّر أني أثب به، فيقول: وثبوا بي وشغبوا عليّ،

➢ فأقبلت على من كان في المجلس فقلت: أعزّكم الله، ألستم قد وقفتم على سؤاله إيّاي وعلى جوابي إياه؟

❖ قالوا: بلى،

➢ قلت: أفليس عليه أن يردّ جوابي أيضا؟

❖ قالوا: بلى

➢ قلت لهم: فإنه لـمّا سارّني شتمني بالشتم الذي يوجب الحدّ، وشتم من علمني، وإنما قدّر أنني أثب عليه، فيدّعي أننا واثبناه وشغبنا عليه، وقد عرّفتكم شأنه بعد الانقطاع فانصروني، فأخذته الأيدي من كلّ جهة فخرج هاربا من البصرة«

إبراهيم بن سيّار النظام

أما إبراهيم بن سيّار النظام فهو أحد أعاجيب الزمان ذكاء وعلما ونبوغا، وقوة عارضة في الجدال، وخاصة ضد الثنوية المجوسية والملحدين والدهريين .. وهو رجل لا يتكرّر إلا كل ألف عام وفق مقولة الجاحظ :

> " الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له، فإن كان ذلك صحيحا فهو أبو إسحاق إبراهيم النظّام " .

وكان الجاحظ تلميذ النظام، وكان يكثر من الرواية عنه ونقل أقواله في كتبه، وخاصة كتاب " الحيوان " الذي سرد فيه كثيرا من آراء النظام وملاحظاته على سلوك الحيوان وطبائعه، وفي المباحث الطبيعية وخصائص المادة ..

ويقول فيه أيضا أبو الحسين الخيّاط (المعتزلي) في كتابه (الانتصار): "

> لولا إبراهيم وأشباهه من علماء المسلمين الذين شأنهم حياطة التوحيد ونصرته والذبّ عنه عند طعن الملحدين فيه، الذين شغلوا أنفسهم بجوابات الملحدين ووضع الكتب عليهم إذ شُغِل أهل الدنيا بلذاتها وجمع حطامها . "

ودونك طرفٌ من أخبار النظّام:

١. واجتمع النظام والنجار للمناظرة

واجتمع النظام والنجّار للمناظرة، وكان الحسين بن محمد بن عبدالله النجّار من متكلمي المجبِّرة،وله مع النظام مناظرات،

- ❖ فقال النجّار: لِمَ تدفع (أي تمنع) أن الله كلف عباده مالا يطيقون ؟؟
- ❖ فسكت النظام . فقيل له لمَ سكت ؟؟
- ➢ قال: كنت أريد بمناظرته أن ألزمه القول بتكليف مالا يطاق، فإذا التزم بذلك ولم يستح فما الذي ألزِمه بعد ذلك ؟؟!

(ومذهب الأشعري والمجبّرة أيضا هو جواز التكليف بما لا يطاق.)

٢. النظام هو السبب في وفاة أحد المتكلّمين

وكان إبراهيم النظام هو السبب في وفاة أحد المتكلمين متأثرا بهزيمته أمامه في إحدى المناظرات... وهو الحسين النجار السابق ذكره ... فقد اجتمع مع إبراهيم النظام عن بعض إخوانه، فسلم الحسين،

- ➢ فقال له إبراهيم: تجلس حتى أكلمك ؟؟ فجلس .
- ➢ فقال له إبراهيم: يجوز أن تفعل خلق الله ؟؟
- ❖ فقال الحسين: يجوز أن أفعل الذي هو خلق الله.

- فقال إبراهيم: فالذي هو خلق الله خلق الله أو ليس بخلق له ؟؟
- قال الحسين: هو خلق الله.
- قال إبراهيم: فقد فعلت خلق الله، فلمَ لا يجوز أن تخلق خلق الله كما جاز أن تفعل خلق الله ؟؟
- قال الحسين: لم أفعل خلق الله، وإنما فعلت الذي هو خلق الله !
- قال إبراهيم: والذي هو خلق الله أليس بخلق له ؟؟
- قال الحسين: فهو خلق الله !
- فرفسه إبراهيم وقال: قم أخزى الله من ينسبك إلى شيء من العلم والفهم ! ،

وانصرف محموما وكان ذلك سبب علته التي مات فيها.

٣. وعندما حضرت الوفاة النظام

قال وهو يجود بنفسه:

" اللهم إن كنت تعلم أني لم أقصّر في نصرة توحيدك، ولم أعتقد مذهبا من المذاهب اللطيفة إلا لأشدّ به التوحيد، فما كان منها يخالف التوحيد فأنا منه بريء، اللهم فإن كنت تعلم أني كما وصفتُ فاغفر لي ذنوبي وسهّل عليّ سكرة الموت " ... فمات من ساعته .

أبو عليّ الجُبّائي

ومن المناظرات التي خاضها **أبو عليّ الجُبّائي** شيخ معتزلة البصرة في زمانه، وهو غلام صغير، مع أحد أعلام الجبرية آنذاك ويدعى صقر، وهي مواجهة غير متكافئة في نظر الحاضرين، فقد اقتحم عليه الجبّائي مجلسه، فعجب منه لجرأته وصغر سنه، وسأل عنه من يكون،فقيل له:" غلام من أهل جُبّى".

- فقال أبو عليّ: أتقول إن اللّه تعالى يفعل العدل " ؟؟
- قال: نعم.
- قال: أتسمّيه بفعل العدل عادلا ؟؟
- قال: نعم.
- قال: أتقول إنه يفعل الجور ؟؟
- قال: نعم.
- قال: فبما أنكرتَ أن يكون بفعله الجور جائرا ؟؟
- قال: لايصح ذلك.
- قال: فبما أنكرت ألا يكون بفعله العدل عادلا ؟؟
- فانقطع صقر, الذي علق قائلا لمن حوله:

"شاهت الوجوه، هذا صبيّ يلعب بنا وهؤلاء(أي أصحابه) يعظمونني" !

بشر بن المعتمر

وكان لبشر بن المعتمر زعيم معتزلة بغداد مناظرات مع المجبّرة هو وأصحابه.

❖ وقد قال بعض المجبّرة ذات مرّة لأصحاب بشر: أنتم تحمدون الله على إيمانكم ؟؟

➢ قالوا: نعم.

❖ قال المجبّر: فكأنه يحب أن يُحمَد على ما لم يفعل وقد ذم ذلك في كتابه.

➢ فأقبل ثمامة (بن أشرس) وهومن تلامذة بشر فقال: هؤلاء أجابوك، وهذا أبو مضر فاسأله !

➢ فسأله فقال: لا، بل هو يحمدني على الإيمان لأنه أمرني به ففعلته، وأنا أحمده على الأمر به والتقويه عليه.

❖ فانقطع المجبّر.

➢ فقال بشر: شنعت المسألة فسهلت.!

ثمامة بن أشرس

- قال ثمامة بن أشرس يوما للمأمون: أنا أبيّن لك القدر بحرفين، وأزيد حرفا للضعيف.
- قال: ومن الضعيف ؟؟
- قال: يحيى بن أكثم (القاضي).
- قال: هات !
- قال ثمامة: لا تخلو أفعال العباد من ثلاثة أوجه، إما كلها من الله , ولا فعل لهم, لم يستحقوا ثوابا ولا عقابا ولا مدحا ولاذما، أو تكون منهم ومن الله, وجب الذم والمدح لهم جميعا، أو منهم فقط كان لهم الثواب والعقاب والمدح والذم.
- قال المأمون: صدقت!

أبو العتاهية و ثمامة بن أشرس

- وقال أبو العتاهية يوما للمأمون: أنا أقطع ثمامة.
- فقال: عليك بشِعرك فلست من رجاله.
- فلما حضر ثمامة قال أبو العتاهية وقد حرّك يده: من حرّك يدي ؟؟
- قال ثمامة: مَن أمه زانية !
- قال: يا أمير المؤمنين شتمني !
- قال ثمامة: ترك مذهبه يا أمير المؤمنين !
- فقال له أبو العتاهية بعد ذلك: أما كانت لك في الحجة مندوحة غير السفه؟؟
- قال ثمامة: إن خير الكلام ما جمع الحجة والانتقام!

المعتزلة عدة مدارس فكرية فيها مدارس للمتقدمين ومدارس للمتأخرين.
والناظر بشكل خاص إلى مشايخ المعتزلة الأوائل يعرف أنّ مذاهبهم الفقهية أبعد ما تكون عن المذاهب الأربعة الحالية.
و سوف أضرب مثالا واحدا له من القوة والوضوح في تبيين هذه الحقائق بحيث لا يبقي مجالا لمدعي الاعتزال من مناص سوى التسليم بأنّ هذا المذهب صح عن هؤلاء الأكابر.
هناك مسألة مفصلية ومحورية في الفقه وهي مسألة جواز التعبد بخبر الواحد :
ومعنى جواز التعبد بخبر الواحد أي هل يصلح خبر الواحد أن يكون دليلا نأخذ منه أحكام الفروع (الأحكام العلمية كالمعاملات والعقود .....).
ومن المعلوم أن المذاهب الأربعة (الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي) على جواز التعبد بخبر الواحد, أي أنّ خبر الواحد مقارن للقرآن الكريم ومستقل للتشريع ويتم قبوله عندهم للتشريع.

ولكن ماذا بالنسبة لأكابر المعتزلة؟:

من المعلوم عن الإمام إبراهيم النظام والإمام أبي علي الجبّائي وبعض أئمة البغدادية منهم الإمامان الجعفران والإمام الخياط (كلّ هؤلاء على منع التعبد بخبر الواحد) [٢٠] أي خبر الواحد لا يصلح دليلا في الفروع الفقهية, فخبر الواحد المستقل والمجرد عن قرائن خارجية ليس مقارنا للقرآن عند المعتزلة في الفقه ولا يصلح وحدَه للتشريع وهذه وحدها اختلاف تشريعي جوهري بين المعتزلة وبين غيرهم.
وأضم هنا مسألة أخرى وهي ماذا عن جواز التعبّد بالقياس الفقهي في الفروع:
فذهب الإمام بشر بن المعتمر والإمام إبراهيم النظام والإمامان الجعفران وغيرهم إلى أنه لا يجوز التعبّد بالقياس.
ويعبرّ الإمام النظام عن هذا المذهب بالحرف :

" لَا عَمَلَ إلَّا بِالْكِتَابِ أَوْ خَبَرٍ مُتَوَاتِرٍ وَإِلَّا فَالْعَقْلُ فَقَطْ " [٢١]

وفي هذه النقطة بالذات رد على بعض الصبية الذين زعموا أن دليل العقل عند المعتزلة هو القياس – فتأمّل يرحمك الله. –

____

[٢٠] (راجع منهاج الوصول لابن المرتضى, ص ٣٩١)

[٢١] (راجع البحر الزخار لابن المرتضى في باب القياس).

وبهذا يظهر جليا قول أبي الحُسين البصري في المعتمد :

" أما التوَصُّل إِلَى الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة فَهُوَ أَن الْمُجْتَهد إِذا أَرَادَ معرفَة حكم الْحَادِثَة فَيجب أَن ينظر مَا حكمهَا فِي الْعقل ثمَّ ينظر هَل يجوز أَن يتَغَيَّر حكم الْعقل فِيهَا وَهل فِي أَدِلَّة الشَّرْع مَا يَقْتَضِي تقدم ذَلِك الحكم أم لَا فَإِن لم يجد مَا يَنْقُلهُ عَن الْعقل قضي بِهِ "[٢٢]

فليس معنى العقل إلا التشريع استنادا الى التحسين والتقبيح العقليين وهذا ما نقول به.

ولذلك فالمعتزلة يمتلكون نظريات فقهية رائعة مبنية على نظرياتهم في التحسين والتقبيح العقليين, وبلغة معاصرة فالعقل مسترشدا بالضرورة والموازنة بين مصالح الناس الخاصة ومصالح الاجتماع العامة يستطيع التشريع, فحين قد تسمي المدارس الفقهية الأخرى هذه التشريعات بالتشريعات الوضعية ولكن المعتزلة يستطيعون القول أنها اجتهادات تشريعية ترضي الله عز وجل, كما يقول الفخر الرازي في المحصول:

(أمَّا الأدلّة العقلية فلا مجال لها عندنا في الأحكام لما بيَّنا أنها لا تثبت إلاَّ بالشَّرع، وأمَّا عند المعتزلة فلها مجالٌ لأنَّ حكم العقل في المنافع الإباحة، وفي المضارّ التحريم أو الحظر)

ـ الرازي: المحصول: ١|٥١ و٥٣.,

وهناك نماذج أكثر من رائعة على هذا النموذج الفقهي عند المعتزلة فعلى سبيل المثال لا الحصر :

- ❖ فقد ذهب الفقيه المعتزلي أبو بكر الأصم والفقيه المعتزلي ابن علية أن دية المرأة مثل دية الرجل بخلاف المذاهب الأخرى كالشافعية والحنفية والحنابلة والمالكية ،ففي هذه المذاهب فإن دية المرأة هي نصف دية الرجل.[٢٣]
- ❖ ورفض الإمام الأصم المعتزلي وابن علية المعتزلي تزويج الصغار ونكاحهم بخلاف المذاهب الأخرى. وقال الإمام الأصم أن العلة في الربويات هي الانتفاع بخلاف المذاهب الأربعة.
- ❖ ورفض الإمام النظام وأصحابه حد الرجم.

(ولم يختلف علماء الأمصار فى جلد الزاني البكر ورجم الزاني الثيّب، إلا ما ذهب إليه الخوارج وبعض المعتزلة ـ النظام وأصحابه ـ من إبطال حكم الرجم) .[٢٤]

- ❖ ورفض الإمام أبو مسلم الأصفهاني المعتزلي والكثير من المعتزلة القول بوقوع النسخ في القرآن الكريم.
- ❖ الإمام الأصم والأصفهاني على أنّ المقيم الصحيح مُخيّر بين أنْ يصوم أو أن يُفطر مع الفدية[٢٥] .

والكثير جداً من الجوانب الأخرى التي تحتاج إلى كتاب كامل لبسطها.

٢٢المعتمد لأبي الحسين البصري. ٢ / ٤٣ .

٢٣ القفال، محمد، حلية العلماء، ٧ / ٥٤٤ و ابن قدامة، عبدالله، المغني، ٩ /٥٣٣٣.

٢٤ إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض , كتاب الحدود , باب الزنى.

٢٥ الرازي, التفسير الكبير, الجزء الخامس, ص٧٨.

بعض التفسيرات المعتزلية للقرآن العظيم.

الجنة التي كان فيها آدم عليها السلام هي جنة على الأرض.

الجنة التي كان فيها آدم عليها السلام هي جنة على الأرض وليست هي جنة الخلد وقد ذهب الإمام البلخي والإمام الأصفهاني من المعتزلة إلى هذا القول ومن الأدلة على هذا القول هو التالي:

١. الجنة التي تدخل بعد القيامة هي من حيز الآخرة وفي اليوم الآخر تدخل ولم يأت بعد.

٢. وقد وصفها الله تعالى لنا في كتابه بصفاتها ومحال أن يصف الله شيئا بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفها به والقول بهذا دافع لما أخبر الله به وقالوا:

- وجدنا الله وصف الجنة التي أعدت للمتقين بعد قيام القيامة بدار المقامة ولم يقم آدم فيها.
- ووصفها بأنها جنة الخلد ولم يخلد آدم فيها.
- و وصفها بأنها دار جزاء ولم يقل إنها دار ابتلاء وقد ابتلى آدم فيها بالمعصية والفتنة.
- ووصفها بأنها ليس فيها حزن وأن الداخلين إليها يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقد حزن فيها آدم.
- ووجدناه سماها دار السلام ولم يسلم فيها آدم من الآفات التي تكون في الدنيا.
- وسماها دار القرار ولم يستقر فيها آدم.
- وقال فيمن يدخلها وما هم منها بمخرجين وقد أخرج منها آدم بمعصيته.
- وقال لا يمسهم فيها نصب وقد ند آدم فيها هاربا فارًا عند إصابته المعصية وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه وهذا النصب بعينه الذي نفاه الله عنها.
- وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا تأثيم وقد أثم فيها آدم وأسمع فيها ما هو أكبر من اللغو وهو أنه أمر فيها بمعصية ربه وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذب وقد أسمعه فيها إبليس الكذب وغره وقاسمه عليه أيضا بعد أن أسمعه إياه .
- وقد شرب آدم من شرابها الذي سماه في كتابه شرابا طهورا أي مطهرا من جميع الآفات المذمومة وآدم لم يطهر من تلك الآفات.
- وسماها الله تعالى مقعد صدق وقد كذب إبليس فيها آدم ومقعد الصدق لا كذب فيه.

- وعليون لم يكن فيه استحالة قط ولا تبديل ولا يكون بإجماع المصلين والجنة في أعلى عليين والله تعالى إنما قال إني جاعل في الأرض خليفة ولم يقل إني جاعله في جنة المأوى فقالت الملائكة "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء "والملائكة أتقى لله من أن تقول مالا تعلم وهم القائلون لا علم لنا إلا ما علمتنا وفي هذا دلالة على أن الله قد كان أعلمهم أن بني آدم سيفسدون في الأرض وإلا فكيف كانوا يقولون مالا يعلمون والله تعالى يقول وقوله الحق : "لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون "والملائكة لا تقول ولا تعمل إلا بما تؤمر به لا غير قال الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون.
- والله تعالى أخبرنا أن إبليس قال لآدم "هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى " فإن كان قد أسكنه الله جنة الخلد والملك الذي لا يبلى فكيف لم يرد عليه نصيحته ويكذبه في قول فيقول وكيف تدلني على شيء أنا فيه قد أعطيته واخترته بل كيف لم يحث التراب في وجهه ويسبه لأن إبليس لئن كان يكون بهذا الكلام مغويا له إنما كان يكون زاريا عليه لأنه إنما وعده على معصية ربه بما كان فيه لا زائدا عليه ومثل هذا لا يخاطب به إلا المجانين الذين لا يعقلون لأن العوض الذي وعده به بمعصية ربه قد كان أحرزه وهو الخلد والملك الذي لا يبلى ولم يخبر الله آدم إذ اسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ولو كان فيها من الخالدين لما ركن إلى قول إبليس ولا قبل نصيحته ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد فقبل منه ولو أخبر الله آدم أنه في دار الخلد ثم شك في خبر ربه لسماه كافرا ولما سماه عاصيا لأن من شك في خبر الله فهو كافر ومن فعل غير ما أمره الله به وهو معتقد للتصديق بخبر ربه فهو عاص وإنما سمى الله آدم عاصيا ولم يسمه كافرا.
- قالوا فإن كان آدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يدخلها إلا طاهر مقدس فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس الملعون المذموم المدحور حتى فتن فيها آدم؟.
- وإبليس فاسق قد فسق عن أمر ربه وليست جنة الخلد دار الفاسقين, ولا يدخلها فاسق البتة إنما هي دار المتقين وإبليس غير تقي.

آية الميثاق

"وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ" ١٧٢ الأعراف.

نرجع إلى التفسير الكبير لفخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية من سورة الأعراف:

والقولُ الثاني:

فِي تفسيرِ هذِهِ الآيةِ قولُ أصحابِ النظرِ وأربابِ المعقولاتِ: إنهُ تعالى أخرجَ الذُّرِّيَّةَ وهمُ الأولادُ مِنْ أصلابِ آبائِهِمْ وذلكَ الإخراجُ أنهمْ كانوا نطفةً فأخرجها اللهُ تعالى فِي أرحامِ الأمهاتِ، وجعلها علقةً، ثمَّ مضغةً، ثمَّ جعلهمْ بشرًا سويًا، وخلقًا كاملًا ثمَّ أشهدَهمْ على أنفسِهمْ بمَا ركَّبَ فيهِمْ مِنْ دلائلِ وحدانيَّتِهِ، وعجائبِ خلقِهِ، وغرائبِ صنعِهِ. فبالإشهادِ صاروا كأنَّهمْ قالوا بلى، وإنْ لمْ يكنْ هناكَ قولٌ باللِّسانِ، ولذَلِكَ نظائِرُ منْها قولُه تعالى:

فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ [فُصِّلَتْ: ١١]

ومنْها قولُه تعالى:

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [النحل: ٤٠]

وقولُ العربِ:

قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتِدِ لِمَ تَشُقُّنِي ... قَالَ سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي فَإِنَّ الَّذِي وَرَائِي ... مَا خَلَّانِي وَرَائِي

وقالَ الشَّاعِرُ:

امْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي

فهَذَا النَّوعُ مِنَ المَجازِ والاستعارةِ مشهورٌ فِي الكلامِ، فوجبَ حملُ الكلامِ عليهِ، فهَذَا هوَ الكلامُ فِي تقريرِ هذينِ القولينِ، وهذَا القولُ الثانِي لا طعنَ فيهِ البتَّةَ.

أقول أنا ناجح لمن هذا التفسير الذي يصفه الفخر أنه قول أصحاب النظر وأرباب المعقولات ؟!. بل وفي الأخير يعلق الرازي عليه أنه لا طعن فيه البتة.!!

أقول راجع التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي فيتبيّن لك أن هذا التفسير هو لشيخنا أبي علي الجبائي المعتزلي- رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

المعتزلة وفتنة خلق القرآن

الملاحظ يا سادة بالدراسة التاريخية التي قام بها الكثير من الباحثين المتخصصين كالدكتور فهمي جدعان والجابري و الوريمي و الدكتور السمهوري [26] وغيرهم على أن المعتزلة براء من موضوع "المحنة" كتيار، فهم :-

١. مع حرية الدين والمعتقد
٢. مع الحوار وصراع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان
٣. ضد إكراه الناس على معتقد بالقوة، والقوة الوحيدة التي يرونها في مثل هذه المسائل هي الدليل والحجة والبرهان.

ولكن ما حدث في الصراع بين الأمين والمأمون واصطفاف حشوية أهل الحديث مع الأمين أدى ذلك أن يسرها لهم المأمون في نفسه، حتى إذا استحكم أعد لهم حسابا عسيرا، وهو امتحانهم (فالمسألة كانت مسألة تصفية حسابات سياسية)، خصوصا أن كثيرا ممن امتحن المحدثين كان من الجهمية والضرارية وغيرهم ممن يقول بخلق القرآن، فكما تعلمون فالمعتزلة ليست هي المدرسة الفكرية الوحيدة التي تقول بأن القرآن مخلوق.

وفي هذه الحقيقة يقرر ابن تيمية فيقول :

> " فإن ابن أبي دؤاد كان قد جمع للإمام أحمد من أمكنه من متكلمي البصرة وبغداد وغيرهم ممن يقول: إن القرآن مخلوق، وهذا القول لم يكن مختصًا بالمعتزلة كما يظنه بعض الناس، فإن كثيرًا من أولئك المتكلمين أو أكثرهم لم يكونوا معتزلة، وبشر المرِيسي لم يكن من المعتزلة، بل فيهم نجارية، ومنهم برغوث، وفيهم ضرارية، وحفص الفرد الذي ناظر الشافعي كان من الضرارية أتباع ضرار بن عمرو، وفيهم مرجئة، ومنهم بشر المريسي، ومنهم جهمية محضة، ومنهم معتزلة، وابن أبي دُؤاد لم يكن معتزليًا، بل كان جهميًا ينفي الصفات، والمعتزلة تنفي الصفات، فنفاة الصفات الجهمية أعم من المعتزلة" ا.هـ (مجموع الفتاوى ١٧: ٢٩٩).

وكما يصرح ابن تيمية أيضا في كتاب النبوات - وهو من أواخر ما كتب - (ص ١١١٢ طبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق أبو صهيب الرومي وعصام الحرستاني، عام ١٤٢٢ هـ)، يقول:

> "وكذلك الإمام أحمد خصومه من أهل الكلام هم الجهمية الذين ناظروه في القرآن مثل أبي عيسى برغوث وأمثاله، ولم يكونوا قدرية، ولا كان النزاع في مسائل القدر، ولهذا يصرح أحمد وأمثاله من السلف بذم الجهمية أكثر من سائر الطوائف". ا.هـ .

---

٢٦ هناك مقالة رائعة للدكتور رائد السمهوري بعنوان " هل مارس المعتزلة إرهابًا فكريًا ؟ " تجدها على الشبكة العنكبوتية العالمية

ومن يلاحظ سياسات المأمون يعلم أنها ليست سياسات معتزلية، وليست من قضايا المعتزلة مثل:
تولية العهد لعلي بن موسى الكاظم، وأمر الجند بطرح السواد ولبس الخضرة وإعلان لعن معاوية
على المنابر وإعلان أفضلية علي رضوان الله عليه، وإجازة زواج المتعة وغيرها من مسائل.!!!!!
وللعلم فإن المأمون كتب بالمحنة وقاضي قضاته هو يحيى بن أكثم الحنبلي!
(تجد ترجمة يحيى بن أكثم في طبقات الحنابلة كواحد من حملة عقائد الحنابلة)،
وكتبها من طرسوس وطرسوس معقل الجهمية وليس المعتزلة .
ولكن عند إنهاء المحنة على يد المتوكل فوجد خصوم المعتزلة فرصة ذهبية للتخلص من أقوى اعدائهم الفكريين، ووجد أصحاب الأنظمة الوراثية وأكل أموال الناس بالباطل نفس الفرصة في إصدار واحدة من أكثر فضائح ومخازي التاريخ عارا الوثيقة القادرية لقمع المعتزلة وتصفيتهم والتخلص منهم.
ثم بدأت آلة تزوير الوعي، والتشهير الإعلامي والكذب والدعاية السوداء في شن أكبر حملة تلطيخ سمعة وتشويه لواحدة من أنبل التيارات الفكرية الإنسانية وهم المعتزلة.

تم بحمد الله وفضله ولطفه

الفهرس